

أثر البعد النفسي لصانع القرار في اتخاذ القرار الخارجي

"دراسة في اسهامات المقاربة السايكولوجية (النفسية) لهارولد وسيراوت في اتخاذ القرار الخارجي"

الأستاذ / ولد الصديق ميلود، جامعة سعيدة

ملخص:

إهتم دارسو السياسة الخارجية بمجموعة العقائد والإدراكات والقيم والتصورات كأدوات لفهم طبيعة القرار الخارجي وأسباب اتخاذه ، هذه المجموعة هي ما يسمى بـ " البيئة النفسية " ، التي تمثل المتغير الوسيط الذي تؤثر من خلاله البيئة الموضوعية على السياسة الخارجية . فمتغيرات البيئة الموضوعية -النسق الدولي ، والنظام الدولي ، والخصائص القومية وغيرها - لا تؤثر في السياسة الخارجية الا اذا ادركها القائد السياسي ادراكا معينا . ومن ثم ، فطالما ان القائد السياسي لم يدرك او يستوعب متغيرا موضوعيا معينا . ، فان ذلك المتغير لن ينتج آثارا في السياسة الخارجية .

الكلمات المفتاحية: القرار الخارجي، البعد النفسي ، البيئة النفسية، القائد السياسي، النظام الدولي

مقدمة:

ينظر بعض الدارسين الى السياسة الخارجية باعتبارها سلسلة من القرارات السيادية المتخذة لمواجهة مواقف البيئة الخارجية المتتابة ، ولما كان لهذه القرارات تراكيبية تراكمية تأخذ من الاساليب الثلاثة التي حددها ريتشارد سنايدر في الاسلوب التنظيمي والعقائدي والمعرفي اطار ابستمولوجيا لتحديد الاهداف والادوار والاتجاهات ، فان اخفاق او نجاح هذه القرارات متوقف على مدى نجاعة متخذ القرار وانسجامه مع البيئة العلمية التي يتخذ فيها القرار .

وعلى هذا الاساس اهتم دارسو السياسة الخارجية بمجموعة العقائد والادراكات والقيم والتصورات كأدوات لفهم طبيعة القرار الخارجي وأسباب اتخاذه ، هذه المجموعة هي ما يسمى بـ " البيئة النفسية " ، التي تمثل المتغير الوسيط الذي تؤثر من خلاله البيئة الموضوعية على السياسة الخارجية . فمتغيرات البيئة الموضوعية -النسق الدولي ، والنظام الدولي ، والخصائص القومية وغيرها - لا تؤثر في السياسة الخارجية الا اذا ادركها القائد السياسي ادراكا معينا . ومن ثم ، فطالما ان القائد السياسي لم يدرك او يستوعب متغيرا موضوعيا معينا . ، فان ذلك المتغير لن ينتج آثارا في السياسة الخارجية .

وبهذا حاول كل من هارولد ومارغريت سبروت وضع مقارنة سايكولوجية تعنى بتحليل وتفكيك البنية النفسية والإدراكية والعقائدية والايديولوجية والتصورية لصناع القرار في مقابل ما ينجر عن ذلك من تفاعل مع بيئتهم الواقعية المحيطة بهم والجعل من البيئة الاجتماعية وحدة تحليل لتعريف الفرد لاختياراته ومجمل مواقفه ومن هذا المنطلق تأتي هذه المقالة العلمية لتوصيف هذه المقاربة العلمية ، والنظر في مدى نجاعتها في فحص ودراسة اهم المتغيرات المتحركة في عملية اتخاذ القرار الخارجي .

فالى أي مدى وفق هارولد وسبروت في مقاربتهم النفسية ؟ ، وماهي اهم الاضافات التي قدمها لفهم آلية اتخاذ القرار الخارجي ؟

المحور الأول: تحديد المفاهيم

قبل البدء بتحليل الاطار العام للمقاربة السيكولوجية محل البحث ، وجب علينا بداية تحديد مفاهيم المتغيرات التي تتكون منها الدراسة والإلمام بمختصر معانيها.

• البعد النفسي في السياسة الخارجية :

ونعني به مدى تماثل ادراك الزعيم السياسي او القائد للحافز الخارجي الذي يتعامل معه ، هذا الادراك الذي يتم استيعابه بفهم منظومة القيم والمعتقدات التي يحملها ، وعوامل تنشئته الاجتماعية ، ومستوى ثقافته وخبرته السياسية ، وطبيعة افكاره وتصورات المسبقة ، ودرجة انخيازه وتحزباته الشخصية .

وعلى هذا يتعامل القائد السياسي مع معطيات البيئة الخارجية وفقا لطبيعة مكونات شخصيته الفكرية وعامل بنائه النفسي والثقافي وتجربته التاريخية¹.

• في معنى المقاربة :

المقاربة هي الطريقة التي يتناول بها الشخص أو الدارس أو الباحث الموضوع ، أو بتعبير أكثر دقة الطريقة التي يتقدم بها في الشئ.وهي أساس نظري يتكون من مجموعة من المبادئ والخطط الفكرية والمنهجية يتأسس عليها علم من العلوم.

¹ Harold Sprout, Environmental factors in the study of international politics ,New York ,The free,1969, p.74

• إتخاذ القرار الخارجي

يقصد باتخاذ القرار ، اختيار بديل محدد من بين عدة بدائل متنافسة تحقيقا لاهداف معينة . وعملية الاختيار هذه يفترض ان تكون نتيجة اقتناع منطقي لموازنة عقلانية بين المنافع المتوقعة والتكاليف الواجب دفعها ، والخسار المحتملة او التي يمكن تحملها ، من جراء اختيار قرار ما .

كما وأن عملية اتخاذ القرار ، ولكي تكون معبرة عن عقلانية وصوابية اختياره ، ترتبط بجملة عوامل منها ، وضوح فكرة الهدف وسط الاحداث الدولية والاقليمية المعقدة ، درجة الدقة في حساب وتقديم الاحتمالات المترتبة على اتخاذه او اختياره ، ثم القدرة على تطوير الوسائل المتاحة في خدمة الهدف النهائي¹.

وعملية اتخاذ القرار تكون من اختصاص شخص واحد هو الزعيم او القائد السياسي ، او مجموعة ضيقة من الاشخاص ترتبط به وتعمل بمعيته . وفي كل الاحوال فان العملية النهائية في اتخاذ القرار تعود الى شخص واحد من الناحية التقريرية وهو القائد السياسي.

المحور الثاني : أدبيات الدراسة :

وقف الباحث أثناء اعداده لهذه الدراسة على مقاربات نفسية معرفية عديدة تتقاطع مع مقارنة هارولد وسبروات السايكولوجية ، وقد اشتهرت مجملها في منتصف الخمسينات من القرن العشرين حيث دخل تحليل الدوافع الذاتية للقائد السياسي مجال السياسة الخارجية . وكان من أشهر الدراسات الرائدة في هذا المجال :

➤ دراسة الكسندر جورج وجوليت جورج :

وتناولت هذه الدراسة البحث عن دوافع الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون وأثرها على سياسته الخارجية ، يقول جورج وجورج " ... ان طفولة ويلسون تميزت بسيطرة والده عليه سيطرة كاملة ، وان ذلك قد اتيح لديه دافعا قويا نحو الانجاز والقوة ونحو ممارسة القوة بمفرده ، وفرض ارادته على غيره وعدم قبول أي سلطة فوق ارادته . وقد أصبح هذا الدافع قاعدة اساسية في علاقاته مع الآخرين . ولذلك ، فان ويلسون أصر في مؤتمر فرساي عام 1919 على قبول الحلفاء وجهة نظره في كيفية تسوية مشكلات ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وهدد بالانسحاب من المؤتمر ان لم يفعلوا . كما انه رفض التعديلات التي حاول الكونجرس الأمريكي ادخالها على اتفاقية فرساي ، مما ادى الى رفض الكونجرس الاتفاقية برمتها ، وبالتالي عدم دخول الولايات المتحدة عصبة الامم².

¹ Jonathan M.Robert, Decision making International crisis, London Macmillan press 1988, p.3

² محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، (بيروت : دار الجيل ، ط.2 ، 2001) ص.386

➤ دراسة مارجريت هيرمان :

وهي دراسة امريكية حاولت من خلالها هيرمان دراسة أثر السلوك التصويتي لاعضاء الكونجرس الامريكي على قضايا السياسة الخارجية ، وجدت ان عضو الكونجرس الامريكي الذي يتميز بالاقتصاد للاحساس بالامن يميل الى نمط التصويت المتميز بطابع قومي ، أما عضو الكونجرس الذي يتميز بالاحساس بالامن فان نمط تصويته يتسم بطابع عالمي.

➤ دراسة للويد ايتردج

حيث اجراها على 36 قائدا سياسيا امريكيا لعبوا أدوارا رئيسية في مجال السياسة الامريكية خلال الفترة من 1898 حتى سنة 1968 ، وجد لويد ان هناك بعدين رئيسيين من دوافع الفرد يؤثران في نوعية السياسات الخارجية التي يدافع عنهما زهما السيطرة على المرؤوسين Dominance Over Subordinates والانفتاح على البيئة الاجتماعية Extroversion. و وجد ايضا ايتردج أن الشخص الذي يميل الى السيطرة هو ذاته الشخص الذي يدافع عادة عن سياسات خارجية تنطوي على استعمال العنف العسكري والتهديد باستعماله . كما ان الشخص المنفتح على مجتمع الاصدقاء المحيط به هو نفسه الشخص الذي يميل الى تبني سياسات خارجية تنطوي على التعاون والتفاوض والحلول الوسطى .

➤ دراسة براون فيد :

حيث تناولت تحليل الدوافع الذاتية - الحاجة الى القوة والانتماء والانجاز- للرؤساء الامريكيين في القرن العشرين. وقد وجدت الدراسة ان الرؤساء الامريكيين الذين يتميزون بتعاضد الدافع نحو القوة اكثر ميلا الى الدخول في حروب و اقل قدرة على التوصل الى اتفاقات للحد من التسليح ، وان الرؤساء الامريكيين الذين يتميزون بقوة الدافع نحو الانتماء والدافع نحو الانجاز اكثر ميلا الى الدخول في الالتزام باتفاقات الحد من التسليح¹.

المحور الثالث : مقارنة هارولد وسيراوت السايكولوجية في اتخاذ القرار الخارجي

اعتمد هارولد وسيراوت في مقارنتهما السايكولوجية على البيئة النفسية كوحدة تحليل اساسية في بناء دراستهما ، وتحديد العوامل الكامنة وراء الفرد لاختياراته واتخاذ للقرارات ، وبعبارة اخرى تحليل الاتجاه

¹ محمد ابراهيم فضة ، "دور عامل الشخصية في صنع السياسة الخارجية" ، السياسة الدولية ، اكتوبر سنة 1983 ، العدد 74 ، ص.54.

الايدولوجي والمعرفي والعقائدي والتصوري لصانع القرار حيال مواجهتهم لبيئتهم الواقعية المحيطة بهم¹. ولفهم المقاربة فهما واضحا وضع العالمان المسلمات النظرية التالية :

أولا :الدوافع الذاتية والخصائص الشخصية للقائد السياسي مكون اساسي لفهم القرار الخارجي

حيث يرى سبروت أن مجموعة الدوافع الذاتية والخصائص المتعلقة بشخصية القائد السياسي تؤثر على أسلوب تعامله مع السياسة الخارجية .و يقصد بالدوافع الذاتية مجموعة العوامل المرتبطة بالحاجات الاساسية (المادية والمعنوية) للانسان ، والتي تدفع الفرد الى التصرف بشكل معين ، كالدافع نحو القوة ، والحاجة الى الانتماء ، والحاجة الى الانجاز ، واحترام الذات، والترعة نحو السيطرة او الخضوع وغيرها . اما الخصائص الشخصية فانها تتصرف الى مجموعة الخصائص المرتبطة بالتكوين المعرفي والعاطفي والسلوكي للانسان ، كأن يكون الفرد ذا شخصية تسلطية ، أو يكون ميالا الى الانتفاح على الافكار الجديدة

وقد سبق ان أكد العديد من الفلاسفة السياسيين ، أمثال سان أوجستين ، وسبينوزا ، ونايبر ، ان الدوافع الذاتية العدوانية والانانية لدى البشر ، بما فيهم القادة السياسيين ، هي أحد المحركات الرئيسة للحروب بين الدول.² ويعتبر هارولد لاسويل أشهر من حلل أثر الدوافع الذاتية على السلوك السياسي .فقد أوضح ان الدافع الرئيس للنشاط السياسي للفرد هو الاحساس بعدم الأمان العاطفي وافتقاد احترام الذات .فالفرد يحاول تغطية هذا النقص عن طريق السعي الى القوة . ففقدان جمال عبد الناصر مثلا الاحساس بالأمن في طفولته -نتيجة وفاة والدته عندما كان طفلا، وسرعة زواج أبيه من أخرى - قد انتج لديه ميلا الى الشك في الآخرين ، ونزعة نحو اتباع سياسات تنطوي على تأكيد الكرامة واحترام الذات. كذلك يرى هيكل ان انور السادات كان يحمل في اعماقه منذ حياته المبكرة رغبة جامحة في ان يصبح نجما لامعا في الحياة ، وأن هذه ارغبة الجامحة في النجومية التي تعود جذورها الى نشأته الأولى ، هي التي تفسر كثيرا من سلوكياته في السياسة الخارجية .فقرر السادات بالذهاب الى اسرائيل سنة 1977 كان انعكاسا لرغبته في ان يجد مجالا آخر لتأكيد نجوميته التي تضاءلت بعد أحداث يناير 1977 في الداخل.

¹ Harold and Margret Sprout, Inveronment factors in the Stady of International politics, Op.Cit.p.109

² محمد السيد سليم ، مرجع سابق ، ص385

ثانيا : الخصائص السايكولوجية لشخصية القائد مدخل لفهم القرار الخارجي

ضمن هذا الاطار يضع هارولد ثلاثة انماط من الشخصية ثبت علاقتها بالسياسة الخارجية هي : الشخصية السلطوية ، الشخصية ذات العقل المنفتح ، الشخصية القائمة على تحقيق الذات.

1- الشخصية السلطوية

تتميز الشخصية السلطوية بمجموعة من الخصائص أهمها : الرغبة الى السيطرة على المرؤوسين ، والرغبة الى استعمال المفاهيم النمطية ، مع رؤية للعالم السياسي على أنه مكون من اصدقاء او اعداء كذلك يترع التسليطون الى ان يكونوا شديدي التعصب لقوميتهم ، وبالتالي فهم أكثر ميلا للتزوع نحو الحرب والعدوان .اضف الى ذلك ان التسليطين يفضلون عادة الاختيارات المحددة كشن حرب شاملة ، او وقف الحرب نهائي¹ .

2- العقل المنفتح والعقل المغلق :

يعتبر مليتون روكيش هو رائد التحليل السياسي لخصائص العقل المنفتح في مواجهة العقل المغلق The open V.S. the closed mind كأحد أبعاد الشخصية فالشخصية ذات العقل المغلق تتميز بزيادة درجة القلق النفسي ، وتوجه الى الاهتمام بمصدر المعلومات أكثر من اهتمامها بمضمون المعلومات ، كما انها لا تستطيع ان تستوعب المعلومات الجديدة التي تتناقض مع عقائدها².

3- تحقيق الذات :

قدم ابراهام ماسلو مفهوم تحقيق الذات Self-actualization كأحد الأبعاد الهامة للشخصية .تتسم الشخصية المحققة للذات بعدة ابعاد اهمها اشباع الحاجات الطبيعية ، والاحساس بالامن والانتماء والاحساس باحترام الذات .Seif-esteem فهذه الابعاد هي التي تولد لدى الشخص الاحساس بالثقة في العالم الخارجي ، والميل الى الانفتاح على العالم . يرى هارولد لاسويل ان أضعف الاحساس باحترام الذات لدى الفرد ، يترع به الى التعصب القومي ، والميل الى تحقيق النجاح الخارجي كأداة لتعويض الاحساس بعدم احترام الذات. كذلك ، وجد دارسو علم النفس الاجتماعي ان ضعف الاحساس باحترام الذات يدفع بالفرد الى رفض الحلول الوسط مع الميل الى الصراع والى سوء فهم نوايا الآخرين .ومن ثم قد يصبح من الصعب التأثير على مثل هذا الفرد اذا كان في

¹ المرجع نفسه ، ص.57.

² المكان نفسه ، ص.57.

مركز صنع السياسة الخارجية .فتقديم الدول الاخرى تنازلات لهذا الفردلن ينتج تأثيرا ذا بال على سلوكه ، بل على انه قد يزيد من سلوكه العدائي ، لانه يميل الى تفسير التنازلات التي تقدم له على انها علامة ضعف¹ .

قدم كل من هارولد وسبروت في مقاربتهم باعتبارهما رائدين في تحليل أثر الدوافع والخصائص الشخصية للقائد السياسي على سياسته الخارجية مجموعة من الدراسات التطبيقية التي مزجت بين تحليل أثر كل من الدوافع والخصائص الشخصية .ففي دراسة حول أثر الخصائص الشخصية لاعضاء الكونجرس الامريكي على سلوكهم التصويتي تجاه قضايا المعونة الخارجية ، ركز هارولد على ثلاث خصائص هي التفاؤل ، والنظرة المفهومية للعالم الخارجي ، والاهتمام الانساني بالدول الاخرى .وجد هذا الاخير من واقع تلك الدراسة ان عضو الكونجرس الامريكي المتسم بالتفاؤل ، وتركيب نظراته المفهومية للعالم الخارجي ، واهتمامه الانساني بمشكلات الدول الاخرى، أكثر ميلا الى تحييد منح المعونات الخارجية ، وبالتالي تحييد دخول الولايات المتحدة معترك السياسة الدولية² .

وفي دراسة ثانية حلل سبروت اثر الخصائص الشخصية لعشرة قادة سياسيين على سياستهم الخارجية .وقد ركزت على الخصائص المتعلقة بالقومية ، والاعتقاد في القدرة على السيطرة على الاحداث ، والتركيب الذهني ، والدوجماتية ، وقد وجد ان القادة الذين يتصفون بقوة البعد القومي ، والاعتقاد في القدرة على السيطرة على الاحداث ، والتبسيط الذهني للاحداث، والدوجماتية أكثر ميلا الى السلوك الصراعي الخارجي³

وفي دراسة اخرى اختارا المنظران ستة من الدوافع والخصائص الشخصية للقادة السياسيين وهي: الدافع القومي ، واعتقاد القائد في قدرته على ضبط الاحداث ، والحاجة الى القوة ، والحاجة الى الانتماء ، والنظرة المفهومية للعالم الخارجي ، والثقة بالآخرين ، وحاولا تحليل اثر تلك الدوافع والخصائص على السياسة الخارجية لخمسة وأربعين قائدا سياسيا ينتمون الى دول مختلفة .وقد افترضوا ان تلك الدوافع والخصائص الستة تشكل توجيهين رئيسيين مختلفين نحو السياسة الخارجية ،هما التوجه المستقل ،والتوجه المشارك .فالتوجه المستقل يتضمن دافعا قوميا قويا .

¹ محمد ابراهيم فضة ، مرجع سابق ، ص.59

² Maragret Herman , Some personal characterics related to foreign aid voting of Congressmen ,in Margret Hermann,and Thomas Milburn , eds, op.cit.pp.313

³Ibid,p.313

ثالثا: مكونات البيئة النفسية : العقائد ، الادراكات ، التصورات

حيث تتألف البيئة النفسية من مجموعة من المكونات الاساسية . من أهمها : العقائد والادراكات والتصورات .

- العقيدة belief :

وهي حكم احتمالي ذاتي نص عليه صراحة او ضمنا في شكل تأكيد او مقولة . هذا الحكم يصف او يوصي او يقوم ظاهرة او اسلوبا للعمل بحيث يربط بين هذه الظاهرة او الاسلوب وبين صفة محددة . فالعقائد تجيء في شكل مقولة صريحة او ضمنية وهي بذلك تختلف عن الاتجاهات attitudes التي هي في الاساس تقويم لظاهرة معينة في شكل استعداد باطن يعبر عن المسافة العاطفية بين الشخص والظاهرة . كما ان العقائد تنشيء علاقة بين الشيء موضع العقيدة وبين صفة محددة . هذه العلاقة قد تشمل وصف الشيء

- الإدراك Perception :

وهو تعبير عن وعي الفرد بالقضايا الموضوعية المرتبطة بموقف معين . فالفرد يتلقى مجموعة ضخمة من المعلومات اليومية عن شتى الموضوعات . هذه المعلومات تخلق لدى الفرد وعيا معيناً بتلك الموضوعات . وكلما طرأ حافز خارجي يدفع الفرد الى تذكر تلك القضايا التي تثار في ذهن الفرد حينما يثار حافز خارجي يدفع الفرد الى تذكر تلك القضايا .

- التصور Image :

وهو الانطباع الاولى العام للفرد عن موضوع معين كأنه يكون لدى الفرد انطباعا عاما بان دولة معينة هي دولة شريرة ، والقيم هي مفاهيم تعبر عن تصور الفرد لما يعتبره " الحياة المثالية او الحياة المرغوبة " - كالحرية والسلام والمساواة والعدالة وغيرها¹ .

خاتمة :

على الرغم من قدرة هارولد وسيراوت على استيفاء الانماط المختلفة لشخصية القائد في شكل تعاملها مع القرار الخارجي الا ان مقاربتهم حول الابعاد النفسية لقيت عدة اعتراضات قدمها بعض الباحثين ، الذين رأوا ان تحليل البعد النفسي للقائد السياسي على السياسة الخارجية قد يؤدي الى نتائج مضللة بالنسبة لفهم تلك السياسة وذلك لعدة أسباب أهمها :

¹ Elizabeth Kirk , International Perception and Foreign Policy; A Literature Review, (Bathesda ,Mathematica ,1976) .pp. 70-73

- تحليل البيئة النفسية يتضمن نوعاً من التبرير الدائري للسياسة الخارجية
- تحليل السياسة الخارجية استناداً إلى البيئة النفسية يقلل من دور الإرادة الواعية للقائد السياسي
- من الصعوبة بمكان معرفة البيئة النفسية الحقيقية للقائد السياسي
- قد لا يتصرف القائد السياسي بناءً على البيئة النفسية
- قد تؤثر البيئة الواقعية على السياسة الخارجية مباشرة

- المراجع:

- محمد السيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، (بيروت : دار الجيل ، ط.2 ، 2001)
- محمد ابراهيم فضة ، " دور عامل الشخصية في صنع السياسة الخارجية " ، السياسة الدولية ، أكتوبر سنة 1983 ، العدد 74 .
- Jonathan M.Robert, Decision making International crisis, London Macmillan press 1988
- Maragret Herman , Some personal characteristics related to foreign aid voting of Congressmen , in Margret Hermann, and Thomas Milburn , eds, Harold Sprout, Environmental factors in the study of international politics , New York , The free, 1969
- Elizabeth Kirk , International Perception and Foreign Policy; A Literature Review, (Bathesda , Mathematica , 1976) .